

السرائر

[44] ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الانفاق عليه من ماله ألد عنده من الانفاق من مال عدوه، ومن لم يكن نفقته التي تخرج من الكتب، ألد عنده من إنفاق عشاق القيان (1)، والمستهترين بالبنان لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً، وليس ينتفع بإنفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله، وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل الأعرابي في فرسه ولأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس، وعلى السلامة من سكر الآفات. قال محمد بن إدريس رحمه الله: وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: قيدا العلم بالكتابة (2) فحداني ما حكيت، وبعثني ما أوردته على أن أجعل قدحي في ربايتهم، وأقتفي أثر جماعتهم. واعلم أبقاك الله وأيدك بالتوفيق، أنه ليس لمن أتى في زماننا هذا بمعنى غريب وأوضح عن قول معيب، ورد شاردة خاطر غير مصيب، عند هؤلاء الأغمار الأعفان، وذوي النزلة والسفال، إلا أنه متأخر محدث، وهل هذا لو عقلوا إلا فضيلة له، ومنبهة عليه، لأنه جاء في زمان يعقم الخواطر، ويصدي الأذهان، والله در المتنبي حيث يقول: أتى الزمان بنوه في شببته * فسرهم وآتيناها على الهرم ولقد أحسن الحيم في قوله في هذا المعنى: تفضلون قديم الشعر عن سفة الفضل في الفضل لا في العصر والدار وقال المبرد: ليس بقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب، ولكن يعطى كل واحد منهما ما يستحق، فالعاقل اللبيب الذي يتوخى الانصاف فلا يسلم إلى المتقدم إذا جاء بالردى لتقدمه، ولا يبخس

(1) القيان: العبيد. (2) تحف العقول: في مواظ النبي صلى الله عليه وآله وحكمه، وفيه: بالكتاب.